

استمرار الظلامية

لقد اعتقد بعض الناس أنه بتغيير الوجوه في مواقع السلطة، ومع الشعارات التي أطلقت حول احترام الحريات العامة، بأنّ جواً جديداً من حرية التعبير والحوار سيخيّم على المناخ السياسي العام. فانتظر هذا البعض عودة وجوه غابت قسراً عن شاشات التلفزيون، كما انتظر أن يقرأ في الصحف مقابلات ذات طعم ونكهة، تخرج عن المألوف المبتذل كما منّ نفسه بسماع حوارات على الإذاعات تتخطى التأييد والمديح للسلطة والاحتلال.

ومع مرور الزمن، وإن كان قصيراً، اتضح للرأي العام، بأن ما سمعه كان أيضاً من باب التضليل الإعلامي، وقد ذهبت السلطات الحالية إلى أبعد من السابق فشددت المراقبة الذاتية على وسائل الإعلام، كما حذرت الإعلاميين من رفع الحظر عن المعارضين، وأفهمتهم بأن عليهم التحدث عن الحريات من دون ممارستها.

وكانت أول مواجهة قمع للحريات مع طلاب التيار الوطني الحرّ حيث اعتقلت قوى الأمن العشرات منهم، بسبب توزيعهم النشرة الأسبوعية التي تصدر عن أمانة الإعلام، والتي توزع على شبكة الانترنت، هذا بالإضافة إلى ما تقوم به الأجهزة الأمنية (المخابرات) من تهريب للشباب الجامعي، حيث تستدعي من حين إلى آخر بعضهم لإبلاغهم بوجوب الامتناع عن توزيع هذه النشرة في ما بينهم مع الإيحاء بحصول ما لا تحمد عقباه في حال عدم الامتثال. وقد ذهب أحد المسؤولين إلى إرغام بعض الطلاب على توقيع تصاريح بعدم تعاطي السياسة.

كلنا يعلم أنّ التوقيع على هذه الوثائق تدين الذين انتزعوها، فلا يمكن لأحد أن ينتزع حقاً طبيعياً من آخر بمجرد إلزامه توقيع قصاصة من الورق، وإذ نورد بعضاً من هذه الوقائع فلنُطلع فقط الرأي العام على الأساليب غير المنظورة للترهيب، وحتى لا يُضلل أحد بما تدّعيه السلطة باحترام الحقوق الطبيعية للإنسان .

مشكلة السلطة، تكمن في اعترافها بالقصور وبقبولها الوصاية عليها، ومن خلال ذلك لا تستطيع أن تتخيل بأن التيار الوطني الحرّ قد بلغ سن الرشد قبل تكوينها، وهو بذلك يعرف ماذا يريد، وكيف يعبر عما يريد، وهو بالتالي يمارس حقه، كما لا يعترف بأي سقف لحرية سوى الحقيقة التي يحترمها ولا يتجاوزها.

وحرى بالدولة التي تحترم نفسها، وتحترم شعبها، أن تقوم بما تقوم به الدول الأخرى المتحضرة، فتسمح بالنفاس على شاشة التلفزيون حول جميع المواضيع التي تهّم الرأي العام وأن يكون فيها متنوع للرأي الآخر.

وحدها الدول المتخلفة تخشى المناظرات الإعلامية، لأنّ ما لديها لا يشرفها كما لا يشرف أفراد نظامها، فهي القائلة والسارقة والخائنة لشعبها، لذا تُجسّد مواقفها بالهروب من الحقيقة، وتمارس القمع على المواطنين.

من المشرف أن تقوم الأجهزة الأمنية بالسهو على أمن الوطن والمواطنين، ولكن أن تصبح أداة للدفاع عن الاحتلال فهو السؤال الذي يجب أن يردّ عليه مستقبلاً كلّ فرد من أفراد هذه الأجهزة.